عز الدين المناصرة

الـــدروز الفـــلسطينيـــون

مـن سـيـاسـة فـرّق تسـدّ البريطـانيـة الى سـيـاسـة حلف الـدم الصهيـونيـة

اعتمدت الإمبريالية سياسة تغذية «الطائفية» في محاولتها لتفتيت العالم العربي إلى دول متناحرة، بل وحلمت، منذ القرن الماضي، بتحويل أقطار الوطن العربي إلى دويلات طائفية، وخططت وعملت لذلك طويلاً. وما مظاهر الطائفية ونموها هذه الأيام إلا ثمرة لعمل طويل. وقد بدأت الامبريالية والاستعمار التقليدي، مستغلّين الجهل والاميّة اللذين كانا وما زالا يسودان الوطن العربي، بخلق بؤر ثقافية ذات طابع طائفي تحت حجة «التنوير والاستفادة من حضارة الغرب»، ذلك إن «الطائفية» حصان سهل الركوب، بما تعتمد عليه من «استشارة الغرائز البدائية»، و«العاطفية التاريخية». وقد حاول الفرنسيون، على سبيل المثال، في سوريا، أن يخلقوا دويلات طائفية. لكن ثورة جبل العرب بقيادة سلطان الاطرش أحبطت هذه المحاولة.

بعد مقتل علي بن أبي طالب سنة ٦٦١ ميلادية، وبعد الصراع السياسي حول السلطة إبان الدولة الاموية والعباسية، بدأ الصراع الثقافي حول تفسير القرآن والحديث الشريف، ومن ثم ظهرت آراء متعددة ما لبثت أن تفرعت وأصبحت مدارس فقهية، وأصبح لكل مدرسة أتباع وأشياع. والدروز ظهروا، فيما بعد، كاشياع لفكرة «التوحيد»، ولهذا فاسمهم «الموحدون». والدُّروز، بفتح الدال، ينسبون إلى أحد دعاة المذهب التوحيدي محمد بن اسماعيل الطهراني المعروف باسم نشتكين الدّرزي، لكن نشتكين هذا والذي أعطى إسمه لاتباعه، سرعان ما حاول استغلال الدعوة لصالحه ؛ الامر الذي أدى إلى تكفيره وتنحيته عن المذهب وفيما بعد إلى قتله لكن اسمه ظلّ لاصقاً باتباعه السابقين.

انتشر المذهب الفاطمي في مصر خصوصاً في زمن الحاكم بامر الله، وقد آثر دعاة هذا المذهب أن يلجاوا للسريّة في بثّ معتقداتهم. وامتدّ المذهب الى بعض القبائل العربية في سوريا. يقول الشيخ قاسم فرو، أحد شيوخ الدروز في فلسطين حالياً: «إن الأصل في تعريف الدروز يرتبط حقيقة بكلمة «الموحدين». والدروز الموحدون طائفة من عرب اليمن